مشاهدات زراعية فى العراق (*)

لحضرة صاحب العزة عبد العزيز عبد الله سالم بك
وكيل وزارة الزراعة المساعد

حضرات أصحاب السعادة والعزة ، إخوانى الأعزاء :

لقد كان للقرار الذى اتخذته هيئة النادى فى أن أكون أول من يفتتح موسم المحاضرات وقع جميل فى نفسى، إذ أنها قد أولتنى شرفا عظيما . وإنه ليسرنى أن أتحدث إليكم الليلة عن مشاهداتى الزراعية فى العراق ، ذلك القطر العزيز علينا والذى كان لى شرف زيارته مرتين : الأولى فى أوائل سنة ١٩٤٥ عند ما انتدبتنى الحكومة المصرية وزميلى الدكتور محمد على بدر الدين وكيل مصلحة الصحة القروية للسفر للعراق لدراسة مشروع إحياء مساحات كبيرة من الأراضى الصالحة للزراعة حيث قضيت فى هذه المهمة شهرين كاملين .

والثانية فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ عند ما اختارتنى الحكومة العراقية لأكون خبيرها الزراعى ، غير أنى لم أبق فى هذه المهمة سوى ثلاثة أشهر فقط.

ولقد تمكنت فى خلال الفترتين اللتين قضيتهما هناك من دراسة كثير من المشاكل الزراعية ، ووضعت فيها تقريراً تقدمت به للحكومة العراقية ، ويسرنى أن أذكر لحضراتكم أنه الآن موضع التنفيذ .

العراق كما تعلمون قطر كبير متسع الأرجاء يقع بين خطي عرض ٢٩ر٥ و ٣٧ر٥ شمالاً وبين خطى طول ٣٩ و ٤٨ر٥ شرقاً ، ويحد من الشرق ببلاد إيران ، ومن الشمال بتركيا وسوريا ، ومن الغرب بسوريا وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية ، ومن الجنوب بالخليج الفارسى وأمارة الكويت والبلاد العربية السعودية . وتبلغ مساحته ٤٦٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع أو ما يعادل ١٠٩ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان تقريباً وأربعة أخماس هذه المساحة عبارة عن صحارى وسهول ومستنقعات وتلال غير منتجة أو قليلة الإنتاج ، أما الخمس الباقى فهو الأراضى المزروعة والقابلة للزراعة وبذلك يمكن تقدير مساحة الأراضى المزروعة فى العراق بنحو ١٨ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان والأراضى القابلة للزراعة بنحو ٣ر٥٠٠ر٠٠٠ فدان .

(*) محاضرة تفضل عزته بإلقائها فى النادى الزراعى يوم ٦ يناير سنة ١٩٤٧

جو العراق :

الجو قارى بمعنى الكلمة ، فالشتاء قارس للغاية ،غير أن مدته قصيرة ، والصيف لافح شديد ومدته طويلة . أما الربيع والخريف فقصيرة مدتهما والجو فيهما معتدل . وتكثر الأمطار والثلوج فى الشمال مدة الشتاء ، وتنزل بعض الأمطار فى الربيع والخريف كذلك . أما فى المنطقة الوسطى والجنوبية من العراق فتقل الأمطار كثيراً عنها فى الشمال، وتهب على المنطقة الوسطى الجنوبية زوابع هوائية صفراء كثيرة الشبه برياح الخماسين،غير أنها أقوى منها بكثير إذ يتعذر معها السير فى كثير من الأحيان، وهى أقل حدة من الهبوب المعروفة فى السودان.

السكان :

يبلغ سكان العراق حوالى خمسة ملايين ونصف، ويقدر سكان الكيلومتر المربع الواحد فى الألوية الشمالية بنحو ١٩ نفساً وبنحو ٣٥ نفساً فى باقى المناطق، وهذه كلها أرقام تقريبية ، إذ أنه من العسير أن يحصل الإنسان على إحصاءات دقيقة خصوصاً من ناحية السكان ، وذلك راجع إلى عدم استقرار القسم الأكبر منهم وتنقلهم من مكان إلى مكان جرياً وراء أرزاقهم وأرزاق حيواناتهم . ويكاد يكون استقرار السكان دائماً فى المدن وبعض البلاد وما جاورها . ومما هو جدير بالملاحظة أن أهل الشمال أكثر نشاطاً من أهل الجنوب، كما أنهم أشد عناية بنظافتهم، ولعل للجو دخلا كبيرا فى هذا .

مصادر الرى :

تعتمد العراق فى ريها على :

(١) الأمطار . (٢) نهر الدجلة والفرات وما يتصل بهما من نهيرات أخرى صغيرة،وكلا النهرين ينبع فى تركيا ، غير أن الدجلة يدخل رأساً إلى العراق عند بلدة زاخو فى الشمال تقريباً . أما الفرات فيسير مسافة غير قصيرة فى الجمهورية السورية ، ثم يدخل بعد ذلك إلى العراق بين بلدتى حصيبة والبوكمال .

ويجرى النهران فى الأراضى العراقية متجهين نحو الخليج الفارسى،وقد يتقاربان أو يتباعدان إلى أن يتقابلا عند بلدة القرنة فى الجنوب فيتكون منهما شط العرب الذى يسير متجهاً نحو الخليج الفارسى .

ويتصل بالدجلة بعد دخوله الأراضي العراقية كثير من النهيرات التي يبدأ بعضها في الأراضي العراقية نفسها ، وبعضها في أراضي الحكومة الإيرانية ، وبذلك تتكون من الدجلة وفروعاته شبكة مائية عظيمة سيكون لها أكبر الأثر على النهضة الزراعية في العراق لو حسن التسلط على هذه المياه واستخدامها والتصرف فيها . أما وسائل الري أو طرقه فسيتناولها الكلام في موضع آخر .

تربة العراق :

أغلب تربة العراق الزراعية خصوصاً في الجزء المتوسط منها والجنوبي مكون من طبقات رسوبية طمية نتيجة لكميات الطمى الهائلة التي تنقلها هذه الأنهار من جبال تركيا وجبال إيران طوال القرون الماضية ، وبذلك يمكن اعتبار هذه الأراضي من أخصب بقاع العالم . وليس أدل على خصب هذه التربة مما قرأناه عن ازدهار الزراعة في العصر العباسي ، حيث كانت العراق تعتبر بحق إحدى جنان العالم . ولكن لسوء الحظ بعد ذلك قد انتابت العراق فترة من الزمن لم تستقر فيها الأحوال ، فأثر ذلك على جميع النواحي اجتماعية كانت أو صناعية أو زراعية . ولعل أكثر ما تأثر بذلك الناحية الزراعية ، فقد طمت الترع والأنهر وطمست معالمها . وإن المتجول في أرض العراق ليقع نظره على كثير من هذه الأنهر والترع المهملة التي لم تبق منها إلا بقايا من جانبيها هي عبارة عن شبه تلال متوازية ترى هنا وهناك ، وأصبحت الأراضي من حولها لا زرع فيها ولا نبات ، بل هي أقرب إلى الصحاري منها إلى الأراضي الزراعية .

الزراعة في العراق :

يحسن وأنا أتكلم عن الزراعة في العراق تقسيم هذه البلاد من الناحية الزراعية إلى ثلاث مناطق :

١ — المنطقة الشمالية : وتشمل مديريات : الموصل ، وكركوك ، واربيل ، والسليمانية . وهذه المنطقة أغلب أراضيها جبلية وتعتمد في ريها على الأمطار ، والقليل منها يروى من النهرين بواسطة الآلات الرافعة . وهي تزرع القمح والشعير والأرز والتبغ والتمباك والبنجر كما تزرع القطن ، والقطن المنتشرة زراعته بالعراق من نوع الأكالا الأمريكي ، وهو نوع قصير التيلة ، والعدس والحمص ، وقليل من الكتان الذي يزرع غالباً في فبراير بعد ذوبان الثلوج ، كما يزرع السمسم والذرة الصفراء ، أما الذرة البيضاء

والدخن فنادرة زراعتهما . والبساتين منتشرة انتشاراً كبيراً في هذه المنطقة ، وأهم أنواع الفاكهة فيها العنب والتين والبرقوق والكمثرى والتفاح والكمثرى والسفرجل والوشمي والخوخ واللوز والجوز والزيتون والصنوبر الثمري والفستق ، وكلها ناجحة نجاحا كبيراً وتدر كثيراً من الأموال على أصحابها . وفي هذه المنطقة أيضاً تنجح زراعة الغابات والأحراش ، وأهم الأشجار الناجحة هي الحور والبلوط والجوز والتوت والصفصاف والصنوبر الخشبي وخاصة الحور ، ويعتنى بزراعته عناية خاصة لاستعماله في الصناعة خصوصاً أسقف المنازل .

٢ — المنطقة الوسطى : تشمل مديريات بغداد : ديالى — الديم وكربلاء الحلة — الكوت . وتغلب في هذه المنطقة زراعة القمح والشعير ، وكذلك يزرع الكتان والقطن والفول السوداني والسمسم والدخن والذرة الصفراء والبيضاء كما أنه بدىء في تجارب زراعة القصب بهذه المنطقة . وتزرع من الفاكهة الموالح بوجه عام ، كالبرتقال واليوسفي والليمون الحامض والأضاليا وقليل من الخضراوات . ومما هو جدير بالملاحظة أن أشجار الفاكهة هنا لا تعيش إلا تحت أشجار النخيل ، فيبدأ صاحب البستان بزراعة النخيل أولا حتى إذا ارتفعت خمسنها بأشجار الموالح التي تنمو نموا قوياً ، لأن النخيل يحمي أشجار الفاكهة من برد الشتاء القارس وصقيعه ، إذ أنه غالباً ما تكون درجة الحرارة تحت الصفر في أكثر ليالي الشتاء . ومن الأشجار الخشبية التي يمكن زراعتها في هذه المنطقة الاوكالبتس والكزورينة والبوانسيانا والسرسوع . ومن الغريب أن أشجار السرسوع تتساقط أوراقها شتاء كما تفتك بها حشرات البق الدقيقي ، بينما هي في مصر دائمة الخضرة ولم تلاحظ إصابتها بهذه الحشرة . كما أن أشجار البونسيانا أيضاً تتأثر كثيراً ببرد الشتاء وغالباً تموت .

٣ — المنطقة الجنوبية : تشمل مديريات الديوانية والمنتفك والعمارة والبصرة ويزرع فيها أغلب المحاصيل السابقة ، كالحنطة والشعير والقطن والأرز .

وللأرز شهرة خاصة في لواء العمارة حيث تتسع مزارعه اتساعا كبيراً خصوصاً في مناطق الأهواز أو السياحات . ويحسن أن نتكلم قليلا عن تحضير الأرض وطريقة الزراعة ، إذ أنها تختلف اختلافا بيناً عنها في مصر ، فيبدأ بعزق الأرض بواسطة آلات تشبه الكريك المصري ، ثم تقسم إلى أحواض ٤ × ٩ أمتار تقريباً

وتنتظر مياه الفيضان لتغمرها ، ثم تداس بالأرجل . وكلما غاص ماء الفيضان قليلا وبدأ تكشف الأرض زرع الأرز نثراً بمعدل ١٥ الى ٢٠ كيلو للدونم . وبعد ظهور النبات تصرف عنه المياه مدة ثلاثة أيام ، ثم يعاد غمرها ويستمر هذا الغمر إلى وقت الحصاد . وإذا ثبت بعد الزراعة أن الماء لن يغمر جزءا من الأرض لسبب من الأسباب تقلع النباتات وتشتل فى مكان آخر من الهور . ويقول العراقيون إن الأرز الناتج من زراعة الشتل أحسن بكثير من الأرز الناتج من زراعة البدار من ناحية الكمية والصنف ، ويتراوح محصول الدونم الواحد بين ٣٠٠ و٧٠٠ كيلو من الأرز الشعير مع أنه لا يسمد ابداً .

أما الفول السودانى فلم يزرع فى المنطقة الجنوبية حتى الآن .

وتنتشر زراعة الفاكهة فى هذه المنطقة وخاصة الموالح والرمان ، وكلها ايضاً تزرع تحت أشجار النخيل . وللنخيل فى هذه المنطقة مركز ممتاز خصوصا فى لواء البصرة ، إذ يبلغ عدده فيها حوالى العشرة ملايين نخلة وهو ثلث ما فى العراق جميعها منه ، وتسع ما في العالم . ويعنى بالنخيل عناية خاصة من حيث الخدمة والتسميد والتلقيح ، إذ تعزق مرة كل سنتين بعمق يتراوح بين ٥٠ و٦٠ سم ، وتعطى بعد ذلك الأرض السماد البلدى بواقع حوالى ١٢ مقطفا للنخلة الواحدة . ومما هو جدير بالذكر أن النوى يستعمل هناك فى الوقود بدرجة كبيرة وله سوق عظيم .

تحدثت اليكم بوجه عام عن أنواع المحاصيل وأشجار الفاكهة والخضر التى تزرع فى العراق ، وأتحدث اليكم الآن عن نواحى الزراعة الأخرى :

فلاحة الأرض :

أهم ما يلفت النظر هو إهمال فلاحة الأرض إهمالاً تاماً اللهم إلا إذا استثنينا بعض الزراعات التى يملكها كبار الزراع ممن يهتمون بالزراعة أو الشركات فإن هؤلاء وهؤلاء يقومون بخدمة أراضيهم على الوجه الأكمل ، وأغلب ما تكون هذه الخدمة بالآلات الميكانيكية لقلة عدد الأيدى . أما جمهرة الفلاحين فإن خدمتهم لأراضيهم سواء أكانت مملوكة أم مؤجرة تكون خدمة ظاهرها الإهمال وباطنها الجهل بأصول الفلاحة ، فهم فى فلاحة أرضهم يستعملون محراثاً يشبه المحراث البلدى يجره

حصان أو حصانان ولا يتعمق سلاحه فى الأرض أكثر من سنتيمترات تعد على أصابع اليد الواحدة، وإن الإنسان ليرى ذلك حتى وهو بعيد من السرعة التى يسير بها حيوان الجر . أما الفأس فلا يستعملها هناك إلا نفر قليل فى الشمال وباقى السكان يستعملون آلة كالكريك فى الرى والعزق وباقى الخدمات الزراعية ، وهى لا تفى بالغرض إطلاقاً . أما الحصاد فيتم بنفس الطريقة المعروفة فى مصر . أما عملية الدراس فتتم بتسيير الحيوانات فى شكل دائرة فوق القرص ، إذ النورج غير معروف هناك. وتخطيط القطن يحصل بطريقة غريبة يستعمل فيها لوح من الخشب أو الساج طوله أكثر قليلا من المتر ، وارتفاعه نحو العشرين سنتيمترا مثبتة به من إحدى وجهيه قطعة من الخشب طولها حوالى المتر، ويوجد بطرفيه من الوجه الآخر حلقتان متصلتان بحبل طويل ، فيشد رجل الحبل ويدفع الآخر اللوح إليه فيتجمع الثرى فى شكل خطوط، وبهذه الطريقة مضافاً إليها جهل الفلاح تصبح بين الخط والخط مسافة لا تقل عن ١٤٠سم . ويزرع القطن فى أعلى الخط تقريباً على إبعاد تقرب من ٤٠ و٥٠سم بين الجورة والجورة، ومقدار التقاوى للدونم هى بين ٥و٦ كيلو، وتبل البذرة قبل الزراعة بمحلول الروث . وإنه ليعز على الفلاح هناك أن يخف القطن بل يترك نباتات الجور جميعها مهما كان عددها . ومن الغريب أن نباتات القطن مع هذا تنبت صحيحة قوية دون سماد، مما يدل دلالة واضحة على قوة هذه الأراضى وخصبها، وهناك بعض الفلاحين يزرعون القطن فى أحواض .

تلك بعض النواحى المتبعة هناك فى خدمة الأرض ، أذكرها لحضراتكم على عجل ليتبين لكم مقدار عدم معرفتهم بأصول فلاحة الأرض .

الدورة الزراعية :

ليس فى العراق دورة زراعية بالمعنى والغرض المفهومين فى مصر لها، بل يزرع المالك نصف أرضه قمحاً وشعيراً بينما النصف الآخر يتركه بوراً، وفى العام الذى يليه يزرع ما كان منها بوراً قمحاً وشعيراً اللهم إلا إذا استثنينا أجزاء صغيرة تزرع من قطن أو خضار أو برسيم حجازى أو كتان، وتلك فى مجموعها مساحات صغيرة لا يحسب لها فى الدورة الزراعية حساب . وذلك لا شك سيكون له أثره السيء على خصوبة الأرض، إذ المقصود من الدورة الزراعية أغراض أخرى زيادة على إراحة الأرض وتركها بوراً . والبرسيم المسقاوى غير معروف فى تلك البلاد أصلا ، ولقد كنت أول

داعية له . ويسرني أن مديرية الزراعة أخذت في توجيه النظر إليه ، واستوردت من مصر بعض التقاوى ، ونشرت في آخر عدد من مجلتها الزراعية تلفت نظر المزارعين الى إدخاله ضمن زراعتهم ، وإنه لجدير بالذكر هنا أن أخبر حضراتكم أنه يستعاض عن البرسيم في إطعام المواشي شتاء بنباتات الشعير حيث تحش مرتين بقصد تغذية الحيوان ، ثم تترك بعد ذلك لتعطي البذور، هذا علاوة على المراعي الطبيعية .

طرق الري :

هناك طرق مختلفة للري أهمها :

١ — المطر : وهو يعتبر المورد الأساسي للري في المناطق الشمالية ، إذ جل اعتمادهم هناك في ري زراعاتهم على كميات المطر المتساقطة أو المنحدرة من جداول جبلية لاينضب ماؤها . والقليل من أراضي تلك المنطقة يسقى بواسطة الآلات الرافعة من النهرين .

٢ — مياه الأنهار : تروى المنطقتان الوسطى والجنوبية من مياه الأنهار بالراحة أو بواسطة الآلات الرافعة .

٣ — الري بالمد والجزر : ذلك قاصر على منطقة البصرة والأرض المحيطة بشط العرب . ويمتد لواء البصرة على شط العرب (ملتقى النهرين) حوالى ١٨٥ كيلومترا كما يمتد على نهرى الدجلة والفرات حوالى ٨٠ كيلومترا ، والجزء الأخير يروى سيحاً أو بالآلة ، أما الجزء الواقع على الشط فيروى بالمد والجزر وهما ولا شك نعمة من نعم الله أغدقها على أصحاب الأراضي والبساتين الواقعة على جانبي شط العرب ، إذ سخر لهم تلك الظاهرة الطبيعية . فعندما يمتد ماء البحر داخل الشط يرتفع ماؤه ويدخل الترع الجانبية ، ومنها يتسرب الى القنوات والمساقي داخل المزارع والبساتين فيرويها ، ثم يأتي بعد ذلك دور الجزر حيث تعود المياه سيرتها الأولى إلى البحر وتتبعها مياه الشط فينخفض مستواها فترجع اليها مياه الترع ، وبالتالي مياه المساقي والقنوات التي كانت قد دخلت البساتين نتيجة للمد ، ويحدث ذلك مرتين في الأربع والعشرين ساعة (مدان وجزران) .

وهذه عملية سهلة للغاية لاتكلف المالك شيئاً ، غير أني أعتقد أنها لا بد أن تضر الأرض يوما ما ، وفعلا جاء مد عال في سنة من السنين واستمر مكث الماء تحت الأشجار أياما فقتلها وأضر بالنخيل ضرراً جسيماً . وليس هناك شك في أن مثل هذه

الأراضى تتشبع طبقاتها بالماء مما يتسبب عنه ضعفها على طول الزمن، زد على ذلك أن ما يترك من فضلات المياه بعد الجزر فى المساقى والقنوات والأماكن المنخفضة داخل البساتين والمزارع يصبح مهدا صالحا ليرقات الناموس وغيرها من الحشرات والحيوانات الطفيلية التى تؤثر على صحة الأهلين تأثيراً واضحا يتبين فى انتشار أمراض الملاريا والانكلستوما والبلهارسيا بين سكان هذه المنطقة .

ويمكن تفادى الأضرار الناشئة عن نظام الرى هذا بعمل بوابات وسدود على فتحات البساتين والمزارع ، وفعلا يلاحظ الفرق الشاسع بين خصوبة الأرض ونمو أشجار النخيل فى مزارع شركة Hill Brother's الامريكية التى أقامت سدودا على فتحات الرى ، وبين مزارع الأهلين غير القامة عليها سدود .

٤ — الرى بواسطة الكهاريز . هذه الطريقة متبعة فى الشمال فى لواءى الموصل وكركوك ،وهى عبارة عن سلسلة من الآبار تبدأ فى مكان مرتفع من عين ماء أرضية وتسير مسافات حتى تظهر على أرض واطئة ، وقد يبلغ عمق البئر خمسة أوستة أمتار ويبنى النفق الموصل إلى هذه الآبار أو يحفر إن كانت الأرض صخرية، وتبلغ سعة النفق حوالى ٧٥ سم وارتفاعه حوالى ١,٥ متر ليمكن للرجل أن يمر فيه وينظفه . ومن الغريب أن بعضها فيه أسماك كما أنها تمر فى أرض الغير بواسطة حقوق ارتفاق حتى يجف الكهريز فتسقط حقوق الارتفاق . وهذه الكهاريز منتشرة وكثيرة بمنطقة كركوك فى الشمال، ويلاحظ أنها مغطاة ولا تكشف إلا عند التنظيف كل سنتين أو ثلاث .

٥ — الرى بواسطة الكرد : هى طريقة قديمة وشائعة الاستعمال فى منطقة الزبير، وتتلخص فى رفع الماء من الآبار بواسطة قربة متصلة بحبلين أحدهما مركب على بكرة عليا،والآخر على بكرة سفلى ، ويتصلان معاً بعد مرورهما فوق البكرتين ويربطان فى آلة معينة متينة على ظهر حمار أو حصان يسير فى طريق منحدر ، ومتى وصل إلى نهاية الانحدار تكون القربة قد وصلت إلى الحوض الذى ينسكب فيه الماء ثم يعود الحمار صاعداً فتنزل القربة إلى جوف البئر لتمتلئ بالماء وترتفع باتجاه الحمار ثانية إلى الانحدار، وهكذا دواليك.

وقد تركب على البئر قربتان أو ثلاث قرب ، وشاهدت واحدة ذات ثلاث قرب يجرها حصان وحماران .وهناك رجل يسوق الحيوانات ويسير معها منحدراً وصاعداً يستحثها السير بطريقة آلية .

نظام الصرف

ليس فى العراق على الإطلاق نظام للصرف ، وهى فى أشد الحاجة لاتباعه وهو لايقل أهمية عن مشروعات الرى ، بل إنه بالنسبة للعراق فى الوقت الحاضر أهم من مشروعات الرى ، لأن الكثير من أرض العراق دبت فيه الأملاح الضارة بالزراعة وأصبح غير صالح بالمرة . وتلك الحالة تزداد سنة بعد أخرى فيجب تداركها على وجه السرعة وهى فى مبدئها ، وإلا كانت الجهود اللازمة لإصلاحها بعد ذلك كبيرة للغاية .

تربية الماشية

أرى لزاما علىّ وقد تكلمت عن مشاهداتى الزراعية ألا أغفل الناحية الحيوانية وهي ناحية لها أهمية خاصة فى العراق ، إذ أن مجال التربية واسع فسيح لوجود مساحات شاسعة من المراعى الطبيعية تقدر بنحو ثلاثة ملايين من الأفدنة ولكن العناية بهذه الناحية تحتاج إلى مجهود كبير .

وإن المار بألوية الشمال وبعض ألوية الوسط والجنوب كجنوب الكوت وشمال العمارة ليجد مراعى واسعة ترعاها قطعان لا حصر لها من الأغنام والماعز والأبقار والخيول والجمال ، ويلاحظ الجاموس بكثرة فى جنوب العراق ، وهو كبير الحجم . كما أن الأبقار تكثر بالشمال ، ولكنها للأسف هزيلة جداً وضعيفة وقصيرة لايتجاوز ارتفاع الواحدة منها عن متر واحد .

مزارع الحكومة والبحث العلمى

بدأت الأبحاث الزراعية العلمية فى العراق فى سنة ١٩٢٠ حين استخدمت الحكومة العراقية بعض العلماء الإنجليز والهنود وبدءوا تجاربهم فى مزرعة صغيرة جنوبى بغداد تسمى الرستمية ، وبعد بضع سنوات استغنت عنهم الحكومة العراقية وتسلم الأبحاث العلمية بعض شباب العراق ممن أتموا دراستهم فى الخارج .

وأنشئت بعد ذلك مزارع حكومية أهمها مزرعة أبو غريب شمالى بغداد ، وتبلغ مساحتها ٣٠٫٠٠٠ دونم ، وتجرى الأبحاث العلمية فيها على المحاصيل الزراعية ، وفيها تكثر البذور ومنها توزع على الزارعين ، وبها محطة لتربية الحيوان والدواجن ، وقد أصابتها أضرار كبيرة فى الثورة الأخيرة ، وتحتاج إلى مجهود كبير قبل أن تصبح محطة أبحاث زراعية بالمعنى المفهوم .

وجنوبى بغداد توجد مزرعة حكومية تعرف بالزعفرانية تختص بأبحاث البساتين بوجه عام من أشجار فاكهة وخضر وزينة وأشجار خشبية ونخيل ، وهى مخطة لابأس بها ، وينتظر لها شأن عظيم متى عنيت بها العناية الكافية .

وهناك مزرعة ثالثة فى لواء كركوك تعرف بالحويجة ، تقوم فيها التجارب على المحاصيل الحقلية وإكثار البذور ، وهى أيضا فى حاجة كبيرة إلى الإصلاح لتصبح مزرعة نموذجية . وفى السليمانية توجد مزرعة « بكرة جو » الحكومية وهى تهتم بأشجار الحلويات والخوخ واللوز والكريز والكمثرى بنوع خاص ، وكذلك تهتم بمشاتل الأشجار الخشبية كما تهتم بتربية الحيوان وهناك مزرعة صغيرة فى الموصل أهم ماتعنى به مشاتل الفستق والصنوبر الثمرى .

وتنتشر زراعة الفستق فى لواء الموصل ويعنى بها عناية خاصة وتدر أرباحاً عظيمة . وأشجار الفستق تزرع فى صفوف يبعد بعضها عن بعض حوالى خمسة أمتار ، وأشجارها مذكرة ومؤنثة . فاذا نبتت وعرفت فإنهم لايتركون من أشجارها المذكرة سوى ١٠٪ لأغراض التلقيح ، فإن زادت عن ذلك فتقرط الأشجار الذكرية وتطعم بعيون مؤنثة ، وسيكون لهذه الشجرة مستقبل عظيم فى الشمال ، وأعتقد أنها ستكون محصولا أساسياً فى تلك المناطق كما أن البلح محصول أساسى فى المناطق الجنوبية .

ملاحظات عن بعض المزارع التى زرتها فى نواحى العراق

إن بعض ملاك العراق يعتنون عناية خاصة بأراضيهم ويفلحونها بقدر ما تسمح به معلوماتهم الزراعية التى ورثوها أو قرءوا عنها . ولقد بلغ من شغفهم بالزراعة وطلب الإرشاد أن دعونى لزيارة مزارعهم فلبيت الطلب فى حدود مايسمح به وقتى .

فزرت فى الشمال مزارع سالم بك نامق ، وهو من زراع الموصل ومن أكثر العراقيين عناية بزراعته وأكثرهم استغلالاً لأراضيه ، وشاهدت فيها أعمالاً قام بها على نفقته الخاصة وهى من صميم أعمال الحكومة فى مصر ، كأن يبنى جسراً فوق نهير ليمرر من فوقه مروى لبقية أراضيه . وهو يعنى عناية خاصة بزراعة البطيخ ويستورد بذوره من أمريكا رأساً كل عام ، ويربح منها أرباحاً طائلة علاوة على مايزرعه من غابات الحور وكذلك من الزراعات الحقلية المختلفة .

وقد زرت أيضا مزرعة فى بلدة راخو فى شمال الموصل على الحدود التركية يملكها

ثرى عظيم هو حازم شام دبار ، عضو مجلس الأعيان ، وهو أيضاً من ذوى الأملاك الشاسعة فى تلك المنطقة . ويعنى عناية خاصة بزراعة الفاكهة (المشمش والخوخ والفستق) وكذلك الدخان ، وقد استقدم خبيراً خاصاً بزراعة الفاكهة للاشراف عليها . وقام بعمل نفق تحت الأرض طوله حوالى ٢٠٠ متر وعرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه متر ليوصل المياه إلى بعض مزارعه ، وهو عمل جبار لا يقوم بمثله إلا الحكومات . وكلا المزارعين يستعمل الآلات الحديثة فى الرى والحرث والحصاد وما إلى ذلك .

كما زرت فى أربيل مزرعة ملا أفندى ، ولفت نظرى بستانه الكبير من العنب الأرضى وقليل من الأشجار الأخرى كالمشمش والفستق ، علاوة على المحاصيل الحقلية الأخرى ، ولكن عنايته بزراعته لاتقارن بعناية المزارعين السابقين .

وزرت فى كركوك مزرعة السيد ابراهيم النفطجى ، وهو من الأشراف فى كركوك ، وله ولإخوته مزارع واسعة ، وبستان تبلغ مساحته ٥٠ دونما أغلبه مزروع بالزيتون ، وهو يجود فى هذه المنطقة .

أما فى الوسط فقد زرت مزارع السيد بهجت زينل ، وتقع شمالى بغداد بحوالى الـ٢٠ كيلو متراً ، وتروى رأساً من الدجلة ، وهى مزرعة منسقة نوعاً ، وبها بستان كبير يبلغ نحو ١٥٠ دونما منزرع بالنخيل والفواكه . أما بقية الأرض فتزرع زراعات عادية .

وكذلك زرت مزرعة الدكتور سالمى شوكت ، وهى واقعة على الضفة الغربية للدجلة جنوبي بغداد ، ومنظمة نظاماً كاملا ومعتنى بها عناية فائقة ، ولعل ذلك يراجع إلى اهتمام صاحبها بها اهتماماً كبيراً ، إذ يمضى نهاية الأسبوع فيها بين فلاحيه .

وزرت فى الكوت مزارع أمير ربيعة ، ومزارع الشيخ بلاسم الحمى ، ومزرعة الوصى بالنعمانية ، وكلها فى منطقة لواء الكوت ، وهى مزارع واسعة للغاية أغلب أراضيها مؤجرة والعناية بها متوسطة ، وقل أن تجد فى هذه المزارع التى تعد بعشرات الألوف من الدونمات طريقاً وسطاً يمكنك من أن تمر داخل الزراعة ، اللهم إلا حوالى المساقى حيث يمكن المرور فى الأرض ومشاهدة الزراعة على ظهور الخيل .

أما فى الجنوب فقد زرت مزارع الشيخ فيصل الخليفة ، وهو من أكبر زراع

الأرز فى لواء العمارة . شاهدت تحضير مزارعه الواسعة لموسم زراعة الأرز . وفى البصرة زرت الكثير من بساتينها ، ولعل أهمها بساتين السيد عبد الرازق الأمير وعائلة بركات وشركة Hill Brother's .

ويمتاز السيد عبد الرازق الأمير بعنايته الفائقة ببساتينه وجلب الكثير من النباتات من بلاد الهند ومصر وغيرها من البلاد الشرقية. وقد أدهشنى فى بستانه أن رأيت به بعض نباتات الموز بعد أن وصل إلى علمى أنها لا تنجح فى العراق . كما أدهشنى وجود شجرات المانجو فى بساتين بركات وهى مزهرة ، مع أنه قيل لى أيضاً إن المانجو لا يصلح فى هذه البلاد .

أما شركة هيل برزر الأمريكية فبستانها يبلغ ٥٠٠ فدان من النخيل مزروعة على طريقة علمية ومنسقة تنسيقاً عظيما ، وبداخلها معامل لدراسة حشرات النخيل وتجارب للوقاية منها . كما أن فيها مصانعها الخاصة بتجفيف وتعبئة البلح فى الصناديق، ومنتجاتها لا تباع محلياً بل ترسل إلى أمريكا وانجلترا رأساً . ومما يلفت النظر ويستوجب الإعجاب أن فى هذه الشركة سجلا خاصاً لكل نخلة من نخيل المزرعة مثبت فيه تاريخ زراعة النخلة ونوع البلح ومقدار الثمر سنويا لدراسة العوامل التى تحيط بمحصول كل نخلة والعمل على زيادة الإنتاج .

وعلى بعد ١٨ كيلو غرب مدينة البصرة الحالية توجد أطلال بلدة البصرة القديمة وفيها بقايا من جامع على بن أبى طالب وقبر طلحة بن عمه رضى الله عنهما . وغرب البصرة القديمة بعدة كيلو مترات تقع بلدة الزبير وفيها قبر الزبير بن العوام رضى الله عنه .

والأراضى بين البصرتين الحالية والقديمة عبارة عن أرض منخفضة يعلوها ملح الطعام الذى تجمعه النساء والأطفال لبيعه فى المدن .

وعلى بعد ثمانية كيلو مترات غرباً من بلدة الزبير توجد منطقة يسكنها بعض الأعراب المشهورين بجدهم ونشاطهم الزراعى ، إذ يزرعون الأرض على ماء الرشح عن طريق آبار يحفرونها بعمق يتراوح بين ١٥ و٢٠ متراً واتساع يتراوح بين ٥ و٨ أمتار ويرفعون الماء منها إما بالماكينات أو بطريقة الكرد وتكفى الماكينة لرى نحو ٣٠ و٤٠ دونما فقط، والكرد يروى مايقارب أربعة أفدنة، ويزرعون حول الأرض عقل الأثل

لتقى مزروعاتهم من البرد ، وبعد سنتين أو ثلاث تكون أشجار الأثل قد كبرت كما تكون الأرض قد ملحت وأصبحت غير صالحة للزراعة بسبب ريها من ماء الرشح ، فينتقل فلاحوها إلى مكان مجاور ويبدءون من جديد فى حفر البئر وبدء الزراعة وهكذا . ولقد كان من نتيجة هذا العمل أن أصبح بمنطقة الزبير نحو ٦٠ كيلو متراً طولا بعرض ٢٠ كيلو عبارة عن غابة من أشجار الأثل الباسق التى تباع فروعه المقلمة للوقود كل عام بأسعار غالية .

وكل فلاح يزرع قطعة أرض ويتركها إلى غيرها تبقى أشجار الأثل فيها ملكا له لا يعتدى عليها أحد .

وأهم زراعات هذه المنطقة الخضر وبخاصة الطماطم والفجل والقرع وغيرها ، كما يزرع البطيخ الذى يشتهر بحلاوته .

وهذه المنطقة أيضاً مشهورة بالجراد ، لأنها منطقة رملية فيها يضع بيضه ويتكاثر هناك ، وموسمه يعتبر موسم رخاء على سكان تلك المنطقة ، إذ يباع الكيلو منه فى البصرة فى أول الموسم بـ ١٦٠ فلسا أى ما يقارب ١٤٫٥ قرشاً ثم ينزل إلى نحو ٨ قروش .

وقبل أن أختم كلامى أود أن أشير إلى أن الحكومة العراقية شرعت فى السنين الأخيرة تنهض بالبلاد وتنفذ عدة مشروعات تحيى الأرض بعد مواتها وتعيد لتربتها خصبها الدفين ، وإنا لنرجو آملين أن تسرع فى تحقيقها .